مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الثالث والعشرون - المجلد الثاني - التاريخ - آذار 2024 م
doi.org/10.52866/esj.2023.02.23.05

مواقف المؤرخين من التمردات والحركات التي خرجت على المماليك

ثناء رشيد كامل ، أ. د. محمد كريم الجميلي
الجامعة العراقية / كلية التربية - قسم التاريخ

مستخلص:

شهد عصر دولة المماليك البحرية في مصر نهضة سياسية وعمرانية وعلمية جعلتهم في مصاف الدول المستقرّة التي يُحسب لها حساب بين الدول القائمة آنذاك، وكل ذلك بفضل اهتمام سلاطينهم بضرورة ديمومة الدولة وحمايتها من العابثين والخارجين عن سلطانها، فضلاً عن حُسن تنظيمهم لشؤونها الإدارية والعلمية، ولكن مع ذلك كانت هناك بعض التمردات التي خرجت على ملوكهم حاولت أن تزعزع أمن البلاد والمجتمع المصري فتصدى لها سلاطينهم وأعادوا هيبة الدولة الى بسط سيطرتها على المجتمع المصري.

الكلمات المفتاحية: المماليك، قطز، الظاهر بيبرس، أيبك، محمد بن قلاوون.

Historians Attitudes on Historical Inflections For The Maritime Mamlok state "648-784 " A.H Analatical Study

Thanaa Rashid kamel , Prof. DR. Mohammad Karim AL-jumaily
Al-Iraqia University-Education Colleg

Abstract :

The era of the Maritime Mamluk state in Egypt witnessed a political, urban and scientific renaissance that placed them in the ranks of stable countries to be reckoned with among the existing states at the time. And all this thanks to the interest of their sultans in the necessity of the permanence of the state and its protection from abusers and those outside its authority.

As well as the good organization of its administrative and scientific affairs. However, there were some rebellions that came out against their kings that tried to destabilize the security of the country and Egyptian society. Their sultans confronted it and restored the prestige of the state to extend its control over Egyptian society.

key words: The Mamluks, Qutuz, Al-Zahir Baybars, Aybak, Muhammad bin Qalawun.

المقدمة

تعرضت الدولة المملوكية منذ بداية عهدها وحتى نهايته الى العديد من الحروب والصراعات الداخلية والخارجية، وأغلب تلك الصراعات والحركات كانت تمردات داخلية على حساب العرش وتولي السلطنة، وأبرز تلك الحركات هي صراعاتهم مع الأيوبيين في الشام، وكذلك تمردات الأمراء على سلاطينهم، فكل سلطان جديد يعتلي العرش عليه أن يواجه الانقلابات والدسائس التي تُحاك ضده، لذلك ظهرت القاعدة المتعارف عليها لدى المماليك وهي قاعدة الحكم للأقوى، كما اشرنا إليها سابقاً، وقد تضمن هذا المبحث ذكر موقف المؤرخين المعاصرين للمماليك من التمردات والحركات التي ناهضت دولة المماليك البحرية منذ تأسيسها وحتى نهايتها.

والحديث عن هذه التمردات ينطلق من رؤية المؤرخ وتفاعله مع الحدث التاريخي، وكذلك الحديث عن فلسفة الحركة أو التمرد، بمعنى هل كان سبب هذه الحركة أو التمرد سياسياً أم دينياً أم قومياً. فضلاً عن ذلك كيفية تعامل السلاطين مع هذه التمردات والوسائل التي اتخذوها في سبيل القضاء عليها، سواء بالمواجهة او بالأساليب الأخرى.

وقد قسم البحث الى مبحثين تضمن المبحث الأول تفصيل ثلاث تمردات خرجت على السلطنة. والثاني أيضاً ثلاث تمردات تم توضيحها بالدراسة مع خاتمة لأهم النتائج التي تمخض عنها البحث فضلا عن قائمة بأهم المصادر والمراجع التي استخدمتها بالبحث.

المبحث الأول

أولاً: مواقف المؤرخين من الحركات والتمردات التي خرجت على السلطان المعز أيبك (655-648هـ/ 1250-1257م):

كان إعتلاء المعز أيبك عرش السلطنة المملوكية بموافقة من كبار الأمراء الصالحية، وقد حلف له الأمراء يمين الولاء والطاعة، ولكن لم يَرُق هذا الأمر للأمراء الأيوبيين في الشام، فقد كانت أولى الحركات ضده من قبل هؤلاء الأمراء.

تمرد الأمراء الأيوبيين في الشام (648هـ/ 1250م):

رفض الأمراء الأيوبيين سلطنة المعز واجتمعت كلمتهم على أن يقيموا سلطاناً من بني أيوب فوقع الإختيار على موسى الأشرف الذي كان صبياً ولم يتجاوز العاشرة من عمره والمعز ايبك أتابكاً له[1].

وقد علق تغري بردي[2] على هذا الحدث قائلًا: ((لابد لنا من سلطان من بني ايوب يجتمع الكل على طاعته.... وأختاروا أن يقيموا صبياً عليهم من بني ايوب، فوقع الاتفاق على الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن السلطان الملك الكامل)). كذلك كان بعض المماليك البحرية، قد اتفقوا مع الأيوبيين على حقبة الأيوبيين في الحكم فم يرضوا على سلطنة ايبك[3].

وقد وصف العيني[4] هذا الحدث بقوله: (وكان السبب في ذلك أنهم لما رأوا وقوع الاختلاف في البلاد، واستياء كل أحد على ناحية، ووقوع

(1) أبو الفدا، المختصر، 3/ 183، ابن واصل، مفرج الكروب، 2/ 378.
(2) النجوم الزاهرة، 5/ 7.
(3) ابن إياس الحنفي، بدائع الزهور، 1/ 90.
(4) عقد الجمان، 1/ 35.

الاضطراب في الديار المصرية، قالوا: لا بد من إقامة شخص من بني ايوب ليجتمع الكل على طاعتهِ، ويرتفع الخلاف، وإتفق رأيهم على اقامة الملك الأشرف مظفر الدين موسى المذكور، وأن يكون الملك المعز عز الدين أيبك أتابكه). وبعد حملتين من قبل الأمراء الأيوبيين في الشام ضد المعز أيبك تدخل الخليفة المستعصم بالله وعقد الصلح بينهم[1]، وكان هذا الصلح بمثابة اعتراف رسمي بدولة المماليك من قبل الخلافة العباسية.

تمرد الأمراء المماليك (651هـ/ 1253م):

تمثل تمرد الأمراء المماليك ضد المعز بفارس الدين أقطاي، فقد أراد المعز أن يحدّ من النفوذ الذي منحهُ الى اقطاي وذلك بعد أن إستبدّ أقطاي الى الحد الذي بدأوا أصحابه يطلقون عليه لقب الملك الجواد[2].

وفي سنة (651هـ/ 1253م) قام أقطاي بترشيح نفسه للسلطنة[3]، كذلك قام بخطبة إبنة صاحب حماه، وطلب من المعز أن تسكن بالقلعة[4]، لذلك أمر المعز مماليكه بالقضاء على أقطاي والتخلص منه فتمكن من ذلك سنة (652هـ/ 1254م)[5].

وقد ذكر المقريزي[6] تفصيلًا عن تلك الحادثة بقوله: (سنة اثنتين وخمسين وستمائة فيها استفحل أمر الفارس أقطاي الجمدار وانحازت إليه البحرية، بحيث كان أقطاي إذا ركب من داره الى القلعة شعل بين يديه جماعة بأمرهِ ولا ينكر هو ذلك منهم، وكانت أصحابه تأخذ أموال الناس ونسائهم وأولادهم بأيديهم فلا يقدر أحد على منعهم، وكانوا يدخلون الحمامات ويأخذون النساء منها غصباً وكثُر ضررهم، هذا والمعز يحصّل الأموال وقد ثقُل عليه أقطاي فواعدَ طائفة من مماليكه على قتلهِ، وبعث المعز إليه وقت القائلة من يوم الأربعاء ثالث شعبان ليحضر إليه بقلعة الجبل في مشور يأخذ رأيهُ فيه، فركبَ أقطاي على غير أهبة ولا اكتراث، فعندما دخل من باب القلعة وصار في قاعة العواميد أُغلق باب القلعة ومنع مماليكهُ من العبور معهُ، فخرجَ عليه جماعة بالدهليز قد أعدّوا لقتلهِ: وهم قطز وبهادر وسنجر الغنمي فهبروه بالسيوف حتى مات). وهذا التهديد يوضح فيه المقريزي مدى تمادي أقطاي وجماعتهُ، فقد وصل بهم الحد الى التعدي على الأهالي فضلاً عن تعدّيه على المعز أيبك وذلك من خلال محاولته إعتلاء عرش السلطنة.

أما ابن كثير[7] فقد وصفَ هذه الحادثة بقوله: (قدم الفارس أقطاي من الصعيد ونهبَ أموال المسلمين وأسر بعضهم، ومعهُ جماعة من البحرية المفسدين في الأرض، فقد بغوا وطغوا وتجبروا، ولا يلتفتون الى الملك المعز أيبك التركماني، ولا الى زوجته شجرة الدر، فشاور المعز زوجته شجرة الدر عن قتل اقطاي، فأذنت لهُ، فعمل عليه حتى قتلهُ في هذه السنة...).

وأشار اليافعي[8] الى تلك الحادثة قائلًا: (فلما اتصلت السلطنة الى الملك المعز بالغَ أقطاي بالإدلال والتبختر، وبقيَ يركب ركبة ملك، وتزوج بابنة صاحب الحماه، وقال للمعز: أريد أن أعمل العرس في قلعة الجبل، فأدخلها إلي، وكان يدخل الخزائن

(1) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، 787/ 8.
(2) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، 11/ 1.
(3) ابو الفداء، المختصر،221/ 3.
(4) أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك، ص-133 134.
(5) أبو الفداء، المختصر، 224/ 3.
(6) السلوك، 483/ 1.
(7) البداية والنهاية، 185/ 13.
(8) مرآة الجنان وعبرة اليقظان، 99/ 4.

ويتصرف في الأموال، واتفق المعز وزوجته شجرة الدر عليه ورتبا على قتلهِ).

كذلك أشار سبط ابن الجوزي[1] لسبب مقتل أقطاي بقوله: (مات أقطاي بمصر قتلة شنيعة، وكان قد طغى وبغى وتكبر وتجبر، بحيث أنه كان إذا ركبَ من دارهِ بالقاهرة الى القلعة يقتل جماعة ولا يلتفت الى الملك).

وفي ضوء النصوص التي أوردها المؤرخون عن تمرد الفارس أقطاي نجد أنهم متفقين على تنامي قوة أقطاي وعدم إحترامهِ لشخصية السلطان المعز، يقابلهُ في ذلك أن المعز لم يكن من أكابر الأمراء فإستغلّ أقطاي هذه الجزئية، مع اطلاق يده في كثير من الأمور، الأمر الذي جعلهُ يتمادى في صلاحياته الممنوحة والتجاوز على السلطان.

ثانياً: مواقف المؤرخين

من تمرد الأمير قطز على السلطان المنصور نور الدين علي بن أيبك: (657-655هـ/ -1257 1258م):

أشرنا سابقاً الى كيفية إعتلاء السلطان المنصور نور الدين علي بن أيبك عرش السلطنة بعد مقتل أبيه، وذلك بإجتماع الأمراء المعزية على توليته وعيّن الأمير سيف الدين قطز أتابكاً له[2]. ثم انتهز قطز صغر سن السلطان واستبدّ بالسلطنة وتمكن من خلع السلطان المنصور نور الدين علي بن أيبك وحلّ محلهُ على عرش السلطنة[3]. وبينّ اليافعي[4] سبب تمرد المظفر قطز بقوله: (وفيها قبض غلمان الملك المعز على ابن أستاذه الملك المنصور، وتسلطن ولُقب بالملك المظفر لحاجة الوقت الى ملك كاف).

(1) مرآة الزمان، 426/ 22.
(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 219/ 13.
(3) أبو الفداء المنتصر، 199/ 3.
(4) مرآة الجنان، 112/ 4.

كذلك علّق السيوطي[5] على هذا الحدث قائلًا: (ثم إنّ الأمير سيف الدين قطز مملوك المعز قبض على المنصور، واعتقلهُ في أواخر ذي القعدة سنة سبع وخمسين، وتملك مكانه ولقب بالملك المظفر بعد أن جمع الأمراء والعلماء والأعيان، وأفتوا بأنّ المنصور لا يصلح للملك، لا سيما في هذا الزمان الصعب الذي يحتاج الى ملك شهم مطاع لأجل إقامة الجهاد). ومن هذين النصين نستنتج أن قطز قد تمرد على السلطان المنصور وأراد أن يحوز السلطنة لنفسه، وقد عدّ ذلك تمرداً حسب وصف اليافعي.

ثالثاً: مواقف المؤرخين

من الحركات والتمردات التي خرجت على السلطان الظاهر بيبرس (676-658هـ/ -1259 1277م):

1. تمرد الأمير علم الدين سنجر الحلبي في دمشق سنة (658هـ/ 1260م):

عيّن السلطان المظفر قطز قبل مقتله الأمير علم الدين سنجر الحلبي على دمشق، وعندما أصبح الظاهر بيبرس سلطاناً على البلاد وبعثت النيابات بطلب من النواب الطاعة، امتنع الأمير سنجر الحلبي عن ذلك[6]، فجمع مَن كان عنده من الأمراء وأعيان دمشق من ذوي الحل والعقد، والزمهم بالحلف على طاعتهِ ومبايعتهِ بالسلطنة فأجابوهُ ولقب نفسه بالملك المجاهد[7].

(5) حسن المحاضرة، مج2، ص 59.
(6) ابن كثير، البداية والنهاية، 662/ 17، النويري، نهاية الأرب، 20/ 30.
(7) ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم الحلبي (ت:684هـ)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، 70/ 1.

ثم أقدم على جعل السكّة والخطبة باسمهِ في دمشق وتمكن من الاستقلال في بلاد الشام، وهذا قد يشكل خطراً كبيراً على الدولة، ويعيد فصل الشام عن مصر وذلك سيضعف الدولة الاسلامية، فضلاً عن أنه يمثل خطراً على حكم الظاهر بيبرس فكان لابد للظاهر التخلص من هذه الحركة لا سيما أن خطر المغول ما زال موجوداً، كذلك خطر الصليبيين الموجودين في بلاد الشام الذين يسعون للعودة الى المناطق اتي طردهم منها المسلمون، لذلك جهّز بيبرس حملة بقيادة الأمير علاء الدين البندقدار[1] الى بلاد الشام لاسترجاع السيطرة عليها، فتمكن من القبض على الأمير سنجر الحلبي وأحضرهُ الى القاهرة سنة (659هـ/ 1261م)[2].

وقد علّل النويري[3] على ذلك بقوله: (فلما وصل إليه اعتقلهُ بقلعة الجبل ثم أطلقه بعد ذلك وخلع عليه، واستمر في الخدمة الى أن جهّزه الى نيابة حلب، هذا ما أتفق بدمشق).

وقد ذكر أبو الفدا[4] عن ثورة سنجر الحلبي قائلاً: (جهز الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر عسكراً، مع علاء الدين البندقدار، وهو أستاذ الملك الظاهر، لقتال علم الدين سنجر الحلبي المستولي على دمشق، فوصلوا الى دمشق في ثالث عشر صفر من هذه السنة، ولما وصل عسكر مصر الى دمشق، خرج إليهم الحلبي لقتالهم وكان صاحب حماة وصاحب حمص قيمين بدمشق، لم يخرجا مع الحلبي لقتالهم، ولا أطاعاه لاضطراب أمر الحلبي واقتتل معهم بظاهر دمشق... فولى الحلبي هارباً وأصحابه منهزمين...).

أما المقريزي[5] فقد كان نصه أكثر تفصيلًا فقد ذكر تلك الحادثة بقوله: (بعث السلطان الملك الظاهر بيبرس الأمير جمال الدين المحمدي الى دمشق ومعه مائة الف درهم وحوائص[6] وخلع بألفي دينار عيناً ليستميل الناس على المجاهد سنجر، فقدم دمشق ثالث صفر وعمل ما أمر به فأجابهُ الأمراء القيمرية وخرجوا عن دمشق.... ونادوا باسم الملك الظاهر بيبرس فأرتجت دمشق، وبعث المجاهد سنجر إليهم بعسكر فانهزم فخرج بنفسهِ وحمل بأصحابه ففروا عنه ثم عادوا عليهِ فخرج وقتل عدة من جماعتهِ والتجأ هو الى القلعة فامتنعَ بها يوم السبت حادي عشر صفر فدخل الأمير ايدكين البندقدار- أستاذ الملك الظاهر الى المدينة وملكها وحلف الناس للملك الظاهر وقام بامرها...).

نستنتج من النصوص السابقة أن ذلك التمرد كان يشكل خطراً كبيراً على الدولة وذلك لأنّ دولة المماليك البحرية سوف تنقسم الى قسمين وسيصبح هناك سلطانين أحدهم في دمشق والآخر في مصر، وذلك الانقسام سوف يعرضها للخطر من جهة المغول والصليبيين، أما الخطر الثاني فهو يشكل تهديداً لسلطنة الظاهر بيبرس وحكمه للديار المصرية، وقد استطاع الظاهر أن يتخلص من ذلك التمرد.

---

(1) علاء الدين البندقدار: هو أحد كبار الأمراء الصالحية، ينسب إليه السلطان الظاهر البيبرس، اتصف بالعقل والسكون، توفي في القاهرة سنة (684هـ). ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، 275/ 9.

(2) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، 204/ 2.

(3) نهاية الأرب، 39/ 3.

(4) المختصر، 210/ 3.

(5) السلوك، 226-225/ 1.

(6) الحوائص: مفردها حياصة وهي الحزام الذي يوضع وسط جسم الدابة أو يوضع على فخذيها تحت ذيلها لتثبيت السرج للركوب. زناتي، المرجع الشامل، ص 93. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص 65.

2. تمرد الأمير آقوش البرلي[1] في حلب سنة (660هـ/ 1262م):

بعد أن تمكن الظاهر من القضاء على تمرد سنجر الحلبي، إرتاب من أمر آقوش فقرر اعتقاله، لكن آقوش هرب الى حلب وسيطر عليها، وجمع معه التركمان والعرب ووزع عليهم الغلال التي استحوذ عليها فانزعج السلطان من ذلك، وفكر بحيلة للتخلص منه فولاّه على حلب وأقام بها أربعة اشهر ثم ما إن شعر بالخطر حتى توجه الى البيرة[2] وأخذها ثم سار الى حران وأقام بها وصار يقترب من حلب ويبتعد عنها خوفاً من الظاهر[3]. فوجّه له الظاهر حملة ولكنه هرب وجعل أمر حلب علاء الدين البندقداري ثم رجع البرلي الى البيرة وفرق اصحابه الى حلب، ولما سمع البندقداري هرب الى حماة ودخل البرلي الى حلب متظاهراً بطاعة السلطان الظاهر بيبرس[4].

ولما شعر بإنكسار جيشه وخسارة معركته مع المغول وخسر حلب والكثير من المناطق التي كانت تحت يده، أدرك أن أمره قد انتهى[5] لذلك أرسل الى السلطان الظاهر بيبرس في مصر يطلب منه الأمان ويعلن طاعته له، فقبل السلطان الظاهر وأرسل الى نوابه بالإحسان له وعدم التعرض له بالأذى، وعندما وصل الى مصر أكرمه وأجزل له العطاء[6].

وقد ذكر ابن كثير[7] تلك الحادثة بقوله: (وإستقلّ الملك الظاهر بجميع الشام ومصر وصفت له الأمور وبم يبقَ له منازع سوى التركي فأنه ذهب الى البيرة فاستحوذ عليها وعصى عليه هناك....).

أما الذهبي[8] فقد اشار إليها بقوله: (في أولها دخل البرلي الى حلب مرة أخرى، فخرج البندقدار عنها، وأظهر البرلي طاعة السلطان....). وذكرها اليونيني[9] قائلًا: (وقد استولى الملك الظاهر على دمشق وبعلبك[10]، والصبيبة وحلب وأعمالها خلا البيرة فإنها بيد البرلي مع ما كان مستولياً عليه).

ويبدو أن أكثر المؤرخين مروا على هذا الحدث مروراً عابراً، ولعلّ من أبرز الأسباب لذلك هو قصر مدة هذه الحركة، وكذلك سرعة انتهاءها على يد الظاهر بيبرس، بل وإنّ بعض المؤرخين لم أجد عنها أي كلام في كتبهم.

---

(1) آقوش البرلي: هو شمس الدين آقوش بن عبد الله العزيزي، كان من أكبر مماليك السلطان غياث الدين محمد الأيوبي، ووصل بعدها الى خدمة السلطان قطز الذي جعله نائباً لبلاد غزة والبلاد الساحلية، وفي عهد الظاهر كلّفه مع مجموعة من الأمراء للتوجه لمحاصرة سنجر الحلبي، وتمّ إنتصاره في هذه الحملة وتوفي سنة(660هـ). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، 21/ 3.

(2) البيرة: بلدة قرب سسياط بين حلب والثغور الرومية، وهي حصينة ولها رستاق واسع وتقع بين المقدس ونابلس. الحموي، معجم البلدان، 526/ 1.

(3) المقريزي، السلوك، 539/ 1.

(4) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، 21/ 3.

(5) أبو الفدا، المختصر، 459/ 1.

(6) المقريزي، السلوك، 545/ 1.

(7) البداية والنهاية، 233/ 13.

(8) تاريخ الإسلام، 79/ 48.

(9) ذيل مرآة الزمان، 151/ 2.

(10) بعلبك: مدينة بالشام بالقرب من دمشق، وهي حصينة في سفح جبل ولها سور حصين من الحجارة، ويدخل الماء من وسطها، وهي مدينة كثيرة الخيرات وفيها الكثير من الفواكه، ومن آثارها الملعبان، الملعب الكبير بُني في أيام النبي سليمان بن داود عليهما السلام، وبعث لأهل بعلبك نبي الله الياس عليه السلام، 109/ 1.

المبحث الثاني

رابعاً: مواقف المؤرخين

من التمردات التي خرجت على السلطان المنصور قلاوون (689-678هـ/ 1290-1279م):

بعد خلع السلطان العادل سلامش الذي اجتمع الأمراء والأعيان والقضاة على خلعهِ سنة (678هـ) بعد حكم دام لمدة ثلاثة اشهر، حلّ محلهُ في السلطنة أتابكه سيف الدين قلاوون وتلقب بلقب الملك المنصور[1] وخرجت على المنصور قلاوون تمردات وكان من أبرزه:

1- تمرد سنقر الأشقر:

كان الأمير شمس الدين سنقر الأشقر نائب الشام ولم يرضَ بما حدث من خلع سلامش وسلطنة قلاوون، ولكن أهل دمشق اعلنوا وقوفهم مع السلطان[2].

أعلن الأمير سنقر الأشقر نفسه سلطاناً على دمشق واستقلّ ببلاد الشام عن مصر، وأعلن حركته ضد السلطان قلاوون، وامتدت تلك الحركة الى عدة جهات من بلاد الشام، وانظمّ إليها عدد من الأمراء، وكذلك أيّد قسم من الفقهاء هذه الحركة ولو كان بصورة مكرهة كما فعل ابن خلكان[3] عندما أيّد حركة سنقر الأشقر[4].

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 7/ / 287.
(2) المصدر نفسه، 292/ 7.
(3) ابن خلكان: هو أحمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس البرمكي الأربلي الشافعي ولد سنة (608هـ)، في اربل كان فاضلاً بارعاً عارفاً بالمذهب، يُحسن الفتوى عارفاً بالعربية وعلاّمة في الأدب والشعر، وله كتاب وفيات الأعيان، سكن في مصر مدة من الزمن وناب بها في القضاء وتوفي سنة (681هـ). ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، 203/ 7.
(4) علاوي، عمار مرضي، علماء المشرق الاسلامي في ضوء كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان،ص21.

وبعد حملة قادها المنصور قلاوون ضد سنقر الأشقر بدأ جيش سنقر بالانسحاب والتقهقر ما سبب الهزيمة لجيش الشام، وطلب عدد من الأمراء الأمان من السلطان[5]، وبعد ذلك جهز السلطان قوة عسكرية لتعقب الأمير شمس الدين الأشقر، فاستغلّ المغول الصراع الداخلي وهاجموا بلاد الشام فاتحدَ المسلمون تحت قيادة السلطان قلاوون لصد خطر المغول وتراجع شمس الدين عن حركته[6]. وقد أشار النويري[7] الى تلك الحركة بقوله: (فلما ملك السلطان الملك المنصور واستقر بالسلطنة، خطر ببال شمس الدين سنقر الأشقر أن يستبد بسلطنة الشام، ويصر الأمر على ما كان عليه في أواخر الدولة الأيوبية، فجمع الأمراء الذين عنده، وأوهمهم أن الأخبار وصلت إليه، أن السلطان الملك المنصور قد قُتل وهو يشرب الخمر ودعاهم الى طاعتهِ، واستحلفهم لنفسه، فأجابوهُ وحلفوا لهُ وتلقب بالملك الكامل).

أما الصفدي[8] فقد ذكر تلك الحادثة بشيء من الاختصار قائلاً: (وسير سنقر الأشقر الى دمشق نائباً بها... فخرج وسلطن نفسه بدمشق، ولقب بالملك الكامل). وذكر ابن الوردي[9] قائلًا: (في الرابع والعشرين من ذي القعدة تسلطن سنقر الأشقر بدمشق وحلف من عنده من الأمراء والعسكر وتلقب الملك الكامل).

كما اشار إليها ابن أبي الفضائل[10]: (اتفق

(5) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 22/ 2.
(6) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، 375/ 2.
(7) نهاية الأرب، 31/ ص14.
(8) نزهة الملك والملوك، ص109.
(9) تاريخ ابن الوردي، 220/ 2.
(10) النهج السديد، 256/ 1.

الأمـراء بدمشـق مـع الأمـير شـمس الديـن سـنقر الأشـقر عـلى أنهـم يملكـوه، فلـع الى الصيـد وحلفـوا لـه، فلـما كان عشـية الجمعـة، الرابـع عـشر مـن ذي الحجـة ركـب الأمـير شـمس الديـن سـتقر الشـقر مـن دار السـعادة الى القلعـة في دسـت الملـك وتلقـب بالملـك الكامـل).

ولعـلّ ابـن كثـير[1] قـد ذكـر تلـك الحادثـة أكثـر تفصيـلاً مـن سـابقيه مـن المؤرخـين وذلـك بقولـه: (ركـب الأمـير شـمس الديـن سـنقر الأشـقر مـن دار السـعادة، بعـد صـلاة العـصر وبـين يديـه جماعـة مـن الأمـراء والجنـد مشـاة، وقصـد بـاب القلعـة الـذي يـلي المدينـة، فهجـم منـه ودخـل القلعـة واسـتدعى الأمـراء فبايعـوه عـلى السـلطنة، ولقـب بالملـك الكامـل، وأقـام بالقلعـة ونـادت المناديـة بدمشـق ذلـك، فلـما أصبـح يوم السـبت اسـتدعى القضـاة والعلـماء والأعيـان ورؤسـاء البلـد الى مسـجد أبي الـدرداء بالقلعـة، وحلفهـم وحلـف لـه بقيـة الأمـراء والعسـكر....).

يتبـين لنـا مـن النصـوص التـي أوردهـا المؤرخـون عـلى تمـرد سـنقر الأشـقر نجـد أنـه كان لديـه مـبررات للخـروج منهـا امتعاضـه مـن خلـع العـادل سـلامش، واسـتأثر المنصـور بالسـلطنة فضـلاً عـن ذلـك إن سـنقر كان يـرى انـه أحـق بالسـلطنة باعتبـار أنـه ملـوك ولا فـرق بـين ملـوك وآخـر، لذلـك كان هـذا التمـرد يسـعى الى الحصـول عـلى السـلطنة مـن خـلال بـلاد الشـام.

2- تمرد الأمراء الظاهرية (680هـ/ 1281م):

ظهـر هـذا التمـرد بعـد تمـرد سـنقر الأشـقر وقـادهُ بعـض الأمـراء الظاهريـة ضـد حكمـه سـنة (680هـ/ 1281م)، عندمـا كان في طريقـه مـن بـلاد الشـام الى مـصر أخـبره الأمـير بـدر الديـن بيسـري[2] بـأن الأمـير سـيف الديـن كونـدك السـاقي[3] ومعـه جماعـة مـن الأمـراء الظاهريـة قـد اتفقـوا مـع المغـول عـلى اغتيالـه، وكذلـك قـام الأمـراء المتآمريـن بأخبـار الصليبيـين في عـكا بذلـك ونصحوهـم بعـدم عقـد أي اتفاقيـة مـع السـلطان لأنـه سـيُقتل، إلا أنهـم رفضـوا التعـاون معهـم وحـذروا قـلاوون منهـم، وعندمـا علـم السـلطان المنصـور قـلاوون بذلـك أخـذ الاحتياطـات اللازمـة لحمايـة نفسـه، ولّما اجتمـع بالأمـير سـيف الديـن كونـدك ووبّخـهُ هـو ومـن معـهُ مـن الأمـراء الظاهريـة المتآمريـن ضـده، وعندمـا أدرك هـؤلاء أنّ حركتهـم قـد فشـلت طلبـوا العفـو والأمـان مـن السـلطان لكنـهُ لم يقبـل طلبهـم، وأمـر بإعدامهـم، وكذلـك قبـض عـلى الأمـراء الذيـن كان يشـك في إخلاصهـم لـه وسـجنهم وفـرَّ منـه جماعـة مـن الأمـراء[4].

وقـد ذكـر ابـن الـوردي[5] تلـك الحادثـة بقولـه: (ثـمّ دخلـت سـنة ثمانـين وسـتمائة: والسـلطان الملـك

(1) البداية والنهاية، 289/ 13.

(2) بـدر الديـن بيسـري: هـو الأمـير بـدر الديـن بـن عبـد الله الشـمسي الصالحـي أصلـه مـن مماليـك السـلطان الصالـح نجـم الديـن وهـو مـن أعيـان الأمـراء في مـصر وشـهد سـلطنة المنصـور والنـاصر، كان جليـل القـدر معظـماً في الـدول، حبسـه السـلطان النـاصر في قلعـة الجبـل الى أن مـات فيهـا، سـنة (698هـ). ابـن تغـري بـردي، المنهـل الصـافي، 501/ 3.

(3) سـيف الديـن كونـدك: هـو الأمـير سـيف الديـن كونـدك السـاقي كان نائبـاً للسـلطنة، سـنة (672هـ) وحصلـت بينه وبـين المماليـك الخاصكيـة خلافـات حـول اطـلاق بعـض الأمـوال لهـم فرفـض إعطائهـم. المقريـزي، السـلوك، 109/ 2.

(4) أبـو الفـداء، المختـصر، 94/ 4؛ ابـن تغـري بـردي، النجـوم الزاهـرة، 300/ 7.

(5) تاريخ ابن الوردي، 221/ 2.

المنصور قلاوون بالروحاء[1] ثم سار الى بيسان[2] وقبض على جماعة من الظاهرية وأعدم كوندك).

أما ابن أبي الفضائل[3] فقد أشار الى تلك الحادثة بقوله: (ومن هذه السنة، مسك كوندك وغرق في بحرية طبرية، وسبب ذلك أنه اتقق مع جماعة من الأمراء....أكثرهم من التتار على أنهم أذا وصلوا الى حمرة بيسان عند المخاضة بالشريعة يقتلوا السلطان هناك، فأطلع بيسري على ذلك فعرف السلطان به، فأراد السلطان مسكهم فلم يظفر إلا بكوندك...)

ولعل العيني[4] قد فصلَ تلك الحادثة تفصيلًا دقيقاً بقوله: (وبلغ السلطان وهو على الروحاء أن سيف الدين كوندك وجماعة من الأمراء الظاهرية، قد أزمعوا الغدر به والوثوب عليه، فأحضرهم إليه وعنفهم، واتفق وصول كتب من عكا بالفرنجي من جهة من كان له فيها من الناصحين، مضمونها أن تحرز على نفسك، فإنّ عندك جماعة من الأمراء اتفقوا عليك ليقتلوك، وقد كاتبوا الفرنج وقالوا لهم: لا تصالحوهُ ولو أعطاكم ما أعطاكم، فقد طبخنا له القدر وغلت وما بقي الأمر يبطئ...).

خامساً: مواقف المؤرخين

من الحركات أو التمردات التي خرجت على السلطان الأشرف خليل (693-689هـ/ 1290-1293م):

بمجرد اعتلاء الأشرف عرش السلطنة بدأ الأمراء يحيكون الدسائس ضده فحرضوا الأمير حسام الدين طرنطاي[5] نائب سلطنة الأشرف ضد السلطان ولفقوا على الأشرف الأكاذيب وكانت غايتهم من ذلك أن يقوم طرنطاي بقتل الأشرف[6]. فقام الأشرف بإجراءات من شأنها تعزيز سلطته ودرء أي حركة تقوم ضده، ومن تلك الاجراءات هي عزل الوزير سنجر الشجاعي من منصب الوزارة، وكذلك عزل نائب السلطنة حسم الدين طرنطاي، وعيّن محلهُ الأمير بدر الدين بيدرا، لذلك تعاظم العداء بين الأمراء والأشرف خليل فقد اتفق كلاً من بيدرا وحسام الدين لاجين على قتل الأشرف[7].

وقد فسر لنا العيني[8] سبب عزل طرنطاي وأنّ الأمراء كانوا خلف ذلك فقد ذكر ذلك بقوله: (كان السبب لمسك طرنطاي حقائد كانت في النفوس كامنة، قدحتها زناد الاقتدار وضغائن طويت أحشائها على ذلك، فحين ملكت تملكت لطلب الثأر، وقد تقدم ذكر ما كان عليه طرنطاي

(1) الروحاء: هي قرية قريبة من المدينة بينها وبين المدينة أربعون ميلاً، وسميت الروحاء لكثرة أرواحها، وفيها قبر مضر بن نزار، وفيها سوق صغير. الحميري، الروض المعطار، 277/ 1.

(2) بيسان: مدينة من مدن الحجاز، وفي الخبر ان رسول الله ﷺ مرّ بماء يقال له بيسان في غزوة ذي قرد، فسأل عنه فقيل: اسمه بيشان وهو ملح، فقال: هو نعمان وهو طيب، فغير رسول الله ﷺ إمسه وغيّر الله تعالى الماء. الحميري، الروض المعطار، 120/ 1.

(3) النهج السديد، 264/ 1.

(4) عقد الجمان، 263/ 2.

(5) حسام الدين طرنطاي، هو الأمير أبو سعيد حسام الدين المنصوري نائب السلطنة بالقاهرة، أتصف بالدهاء والشجلعة والسياسة إشتراه المنصور قلاوون حتى رقاه الى أستاذ دار وكان لايفارق السلطان الا للضرورة، توفي في السجن سنة (689هـ). ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، 247/ 16.

(6) العيني، عقد الجمان، 84-83/ 4.

(7) المصدر نفسه، 10/ 3.

(8) المصدر نفسه، 30-29/ 3.

من الحرمة والتمكن من أستاذه ونفاذ أمره الى وفاة المنصور، ولما تملك ابنه بعده أخذ في التدبير عليه وعلى حاشيته، فطلب الشجاعي وبيدرا والخاصكية وبسط معهم من أمرهِ، وكانوا يعلمون أن طرنطاي إذا استمر بالحكم ما كان يدع لأحد منهم كلمة، فاتفقوا على القبض عليه وعلى من يلوذ به...).

ولما جاءتهم فرصة للتخلص من الأشرف انقضّوا عليه بمكان يقال لهُ الحمامات من أجل الصيد فما وصل السلطان الى تروجه[1] ارسل بيدرا الى الأمراء المحادين للسلطان فخرجوا متظاهرين في رغبتهم بالصيد فهجموا على الأشرف وضربوهُ بالسيف حتى مات وتركوهُ في مكانه....)[2].

ويبدو أن رواية العصامي[3] تتفق مع رواتبي المقريزي وابن تعزي بردي فقد أكد ذلك بقوله: (فلما كان بتروجه يوم السبت ثاني عشر محرم الحرم وقت العصر حضر إليه نائب السلطنة الأمير بيدرا ومعه جماعة من الأمراء وكان الأشرف قد أمره بكرة النهار أن يمضي بالدهليز والعساكر الى جهة القاهرة وبقي الأشرف وأمير شكار يتصدان فأحاطوا به وليس معه إلا شهاب الدين بن الأشهل أمير شكار المذكور فأبعدَ الأشرف بيدراً وضربه بالسيف فقطع يده ثم ضربه حسام الدين لاجين على كتفه فحلها فصاع لاجين على بيدرا من يريد الملك تكون هذه ضربته فسقط الأشرف عن فرسه ولم يكن معه سيف بل كان في وسطهِ بند مشدود ثم جاء الأمير بهادر رأس نوبة فأدخل السيف من أسفله، وشقّ به الى حلقه وتركه طريحاً في البرية.....).

وذهب المقريزي[4] الى وصف تلك الحادثة بقوله: (فلما كان وقت العصر بعث بيدرا من كشف له خبر السلطان فقيل له ليس معه أحد كشف بمن وافقهُ فلم يشعر السلطان إلا بغبار عظيم قد ثار فقال الأمير شكار[5]: اكشف خبر هذا الغبار فساق إليه فوجد الأمير بيدرا وجماعة من الأمراء فسألهم فلم يجيبوه ومروا في سوقهم حتى وصلوا الى السلطان وهو وحده فابتدر بيدرا بالسيف وضربه أبان يده ثم ضربه ثانياً هدّ كتفه، فتقدم الأمير لاجين وقال له: يا بيدرا من يريد ملك مصر والشام تكون هذه ضربته وضرب السلطان على كتفه حله فسقط الى الأرض فجاءهُ بهادر رأس نوبه[6] وأدخل السيف في دبره واتكأ عليه الى أن أخرجهُ من حلقه..).

كذلك ذكره ابن تغري[7] بردي أكثر تفصيلًا قائلاً: (واستمد الملك الأشرف من ملك مصر من غير منازع الى أن خرج من القاهرة وتوجه الى البحيرة للصيد ولما كان بتروجة في يوم السبت ثاني عشر المحرم وقت العصر حضر إليه نائب سلطته الأمير بيدرا ومعه جماعة من الأمراء- وكان الملك الأشرف قد أمره بكرة النهار أن يمضي بالدهليز والعسكر جهة القاهرة، وبقي الأشرف وأمير (شكارة يتصيدان فأحاطوا به وليس معه سوى

(1) تروجة: قرية بمصر من مدن كورة البحيرة وهي من أعمال الاسكندرية. الحموي، معجم البلدان، -27/ 2 28.

(2) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، 65/ 3.

(3) العصامي، سمط النجوم العوالي، 26/ 4.

(4) المقريزي، السلوك، 218/ 2.

(5) أمير شكار: هو الموظف الذي يقوم برعاية الجوارح السلطانية من الطيور وكذلك كل ما يتعلق بالصيد وحيوناته.
القلقشندي، صبح الأعشى، 23/ 4.

(6) راس نوبه: هي مضيفة يقوم أصحابها بالحكم على المماليك السلطانية، والأخذ على يدهم وهم أربعة أمراء واحد منهم مقدم ألف وثلاثة طبلخانه. القلقشندي، صبح الأعشى، 455/ 5.

(7) ابن تغري بردي، مورد اللطافة، 43/ 2.

شهاب الدين بن الأشل أمير) شكاره المذكور، فابتدرَ الى الأشرف بيدرا وضربهً بالسف وقطع يدهُ، ثم ضربهُ حسام الدين لاجين على كتفه حلها، وصاح لاجين على بيدرا: من يريد المُلك هذه تكون ضربته، فسقط الملك الأشرف عن فرسه ولم يكن معه سيف، بل كان في وسطه بند مشدود، ثم جاء الأمير بهادر رأس نوبة فأدخل السيف من أسفله وشقه الى حلقه، وتركوهُ طريحاً في البرية..).

سادساً : مواقف المؤرخين

من الحركات والتمردات التي خرجت على السلطان الناصر محمد بن قلاوون (741 – 693هـ/ 1341 – 1293م):

1. تمرد كتبغا نائب السلطنة (694هـ/ 1294م):

تولى السلطان الناصر محمد بن قلاوون عرش السلطنة بعد مقتل أخيه الأشرف ومرت سلطنته بثلاث مراحل متتالية الى أن تمكن في الثالثة من تثبيت أركان حكمهِ[1].

ففي فترة حكمهِ الأولى تمّ تعيين زين الدين كتبغا نائباً للسلطنة[2]، فتبنى كتبغا أمر الإطاحة بالسلطان بمساعدة كل من علم الدين سنجر الشجاعي وحسام الدين لاجين أتابك العسكر[3] رغم اجتماع هؤلاء على خلع السلطان الصغير ولكنهم اختلفوا فيما بينهم على تولي السلطنة فكل منهم يريد أن يكون هو السلطان واشتدّ الخلاف فيما بينهم لا سيما بين كتبغا والشجاعي وبالفعل تمكن كتبغا في سنة (693هـ/ 1293م) من محاصرة الشجاعي في القلعة وقتله[4]. فتمّ خلع السلطان الصغير واعتلى كتبغا عرش السلطنة وذلك سنة (694هـ/ 1294م) وعيّن لاجين نائباً للسلطنة وبذلك قدرت سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الأولى بسنة واحدة[5].

وقد وصف أبو الفدا[6] تلك الحادثة بقوله: (جلسَ الأمير زين الدين كتبغا المنصوري على سرير المملكة، ولقّب نفسهُ الملك العادل زين الدين كتبغا واستحلفَ الناس على ذلك، وخطبَ له بمصر والشام، ونُقشت السكّة باسمهِ وجعلَ مولانا السلطان الملك الناصر في قاعة بقلعة الجبل، وحُجب عنه الناس...).

أما الذهبي[7] فقد ذكر سلطنة كتبغا بالقول: (في الحادي عشر المحرم تسلطن الأمير ركن الدين كتبغا التركي، والمغلي المنصوري وتسمّى بالملك العادل، وحلفَ له الأمراء بمصر والشام).

وذكره اليافعي[8] باختصار شديد قائلًا: (تسلطن الملك العادل كتبغا المنصوري وزيّنت مصر والشام، وله نحو من خمسين سنة...)، فقد كان ناقلاً فقط.

وقد ذهب ابن كثير[9] الى وصفهِ قائلًا: (وأصبح الأمير كتبغا في الحادي عشر من المحرم فجلس على سرير المملكة وخلع الملك الناصر محمد بن المنصور والزمهُ بيت أهله، وأن لا يخرج منه، وبايعهُ الأمراء على ذلك وهنئوهُ ومدّ سماطاً حافلاً...).

أما المقريزي[10] فقد ذكر كيفية استيلاء كتبغا على عرش السلطنة بقوله: (فلما كانت فتنة المماليك جلسَ في صباح تلك الليلة بدار النيابة وجمع الأمراء

(1) العيني، عقد الجمان، 15/ 3.
(2) المقريزي، السلوك، 794/ 1.
(3) ابو الفدا، المختصر، 31/ 4.
(4) المصدر نفسه، 31/ 4.
(5) الذهبي، دول الاسلام، ب ط، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1985م/ 225/ 2.
(6) المختصر، 31/ 4
(7) تاريخ الإسلام، 34/ 52.
(8) مرآة الجنان، 167/ 4.
(9) البداية والنهاية، 33/ 13.
(10) السلوك، 259/ 2.

وقال لهم: قد انخرق ناموس المملكة والحرمة لا تتم بسلطنة الناصر لصغر سنه، فاتفقوا على خلعهِ وإقامة كتبغا مكانهُ وحلفوا له على ذلك...).

كذل ذكر العصامي[1] استبداد كتبغا واستئثارهِ بالسلطنة قائلاً: (واستبدّ كتبغا بأمر المملكة لصغر سن السلطان ثم بدا له أن يخلعهُ ويتسلطن عوضه فاتفق مع أكابر الأمراء على ذلك، فوافقوه وخلعوا الناصر في الحادي والعشرين من المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة وسلطنوا كتبغا ولقبوهُ بالعادل).

وقد وصفهُ المؤرخ علي ابراهيم حسن[2] في كتابهِ: (كان كتبغا سيئ الطالع فقد أصيبت البلاد عقب ولايته بالغلاء والوباء حتى تشاءم الناس من سلطنتهِ وتمنوا زواله وبلغَ من شدة ما أصاب البلاد من الجدب أن نفذت من خزائن السلطان وعلف الدواب، وكان أهم العوامل التي اثرت في حال البلاد انخفاض ماء النيل سنة (694ه) فعمّ الجدب معظم الأراضي وقلّت المحاصيل الزراعية ولم تفِ بحاجة البلاد وشكا الناس شدة الجوع وفتكت بهم الأمراض وفشا فيهم الموت، حتى كانوا يتساقطون صرعى في الطرقات).

2. تمرد حسام الدين لاجين سنة (696هـ/ 1296م):

بعد تولي كتبغا العرش قام باستقبال الأمراء والجند المغول الفارين الى مصر، وقربهم منه، الأمر الذي أثار حفيظة الأمراء والجند المماليك ضد سياستهِ[3]، فقام لاجين بتدبير مؤامرة لقتلهِ ولكنه لم ينجح ففرّ كتبغا الى دمشق واقام في صرخد[4]، ثم تولى لاجين عرش السلطنة سنة (696هـ/ 1296م) ولقب بالملك المنصور[5]، وكان يعتبر الناصر محمد عقبة في طريقهِ ولا بد لهُ من التخلص منها كي يستطيع الحافظ على عرشهِ، لاسيما وأنّ الناس كانوا يؤيدون حكم الناصر ويعدونه صاحب الحق الشرعي[6].

فقام لاجين بإرسال الناصر الى الكرك سنة (696هـ/ 1296م) بعد أن أقنعَ الناصر بأنه سيكون نائبهُ وسيسلمه السلطنة بعد أن يبلغ سن الرشد[7]، وتمكن السلطان الجديد من الاستبداد بالسلطنة وعيّن خواصهُ الذين أساءوا التدبير وذاق الناس بسببهم العذاب لا سيما نائب السلطنة منكوتمر[8]، كذلك مما زاد سخط الأمراء والجند عليه هو إصداره أمراً بالعمل بنظام الروك[9]، وسمي بالروك الحسامي نسبة له، فتمكن اثنان من مماليكه السلطانية المقربين من يقتلهُ هو ونائبهُ منكوتمر ومهدوا الطريق لعودة الناصر محمد فوصل الناصر وتسلم عرش السلطنة في جمادي الأولى سنة (698هـ/ 1298م)، وكان قد بلغ الرابعة عشر من

(1) سمط النجوم العوالي، 4م27.
(2) حسن، علي ابراهيم، تاريخ المماليك البحرية، ص 69.
(3) حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص 70.
(4) صرخد: قلعة حصينة وولاية واسعة حسنة، وهي ملاحقة لبلاد حوران، ابن عبد الحق، مراصد الإطلاع، 2/ 838.
(5) المنصوري، زبدة الفكرة، 165/ 9.
(6) ابن إياس، بدائع الزهور، 135/ 1.
(7) النويري، نهاية الأرب، 315/ 19.
(8) منكوتمر: هو الأمير سيف الدين مملوك السلطان حسام الدين لاجين، ثم أصبح نائباً للسلطنة، وكانت نيابته مضرب للمثل في القوة والباس، توفي سنة (696هـ). الصفدي، أعيان العصر، 456/ 5.
(9) الروك: كلمة قبطية أصلها (روش) ومعناها الحبل، وإستخدمت للدلالة على عملية قياس مساحة الأرض بالحبل، وهي تعني تقسيم الأرض. طرخان، ابراهيم علي، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، ب ط ، دار الكاتب العربي للطباعة، القاهرة،1968م، ص 59.

عمره.[1]

وقد ذهب ابو الفدا[2] الى ذكر لاجين بالقول: (أرسل حسام الدين لاجين الملقب بالملك المنصور، مولانا السلطان الناصر من القاعة التي كان فيها بقلعة الجبل، الى الكرك وسار معه سلار فأوصله إليها ثم عاد سلار الى حسام الدين لاجين). أما الذهبي[3] فقد ذكره بإختصار شديد قائلًا: (وأما لاجين فساق بالخزائن وركب في دست الملك وساق الجيوش بين يديه وبايعوه، ولم يحتلف عليه إثنان).

وذكره ابن كثير[4] بالقول: (إنها لما إستاق الخزانة وذهب بالجيوش الى الديار المصرية دخلها في ابهة عظيمة، وقد إتفق معه جمهور الأمراء الكبار وبايعوهُ وملّكوهُ عليهم وجلس على سرير المُلك يوم الجمعة عاشر صفر، ودقت بمصر البشائر وزُينت البلاد وخطب على المنابر....).

3. تمرد سيف الدين سلار[5] سنة (708هـ/ 1208م):

بعد اعتلاء الناصر عرش السلطنة قام بتعيين سيف الدين سلار نائباً للسلطنة والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير استاداراً، فأخذ هذا الأميران بالتحكم بأمور السلطنة، وكانا حذرين من تصرفات السلطان الناصر وذلك لمحاولته التخلص منهما[6]، فقرر الأميران نفي السلطان الى الكرك ولكن السلطان قرر الرحيل بنفسه متظاهراً بأنه ذاهب الى الحج[7] وذلك لتجنب المواجهة العسكرية مع الأمراء[8].

توجه الناصر الى الكرك سنة (708هـ/ 1308م) ومعه عدد من مماليكه ثم كتب الى الأمراء بأنه تخلى عن السلطنة وأقام بالكرك[9]، وبعد وصول كتاب السلطان الى الأميرين تشاورا فيمن يتولى السلطنة فوقع الإختيار على سلار إلا أنه رفضها وذلك خوفاً من أن تكون نهايته كنهاية سابقيهِ[10]، فتولى السلطنة بيبرس وقام بمنح قلعة الكرك للناصر ظناً منه أنّ الناصر محمد سوف يكتفي بها ولكن الناصر كان يحظى بولاء أمراء الشام والذين كانوا محبين له ولأسرته[11].

إستمرت المراسلات بين الناصر وأمراء الشام وقد قدّم هؤلاء الأمراء الدعم والولاء للناصر وساندوهُ، فعلم بيبرس بتلك المراسلات وقام بتهديد الناصر وتوعدهُ إذا لم يتوقف عن مراسلة الأمراء فإنّ مصيره هو النفي الى القسطنطينية[12].

بعدَ أن شعر الناصر أنه لا بدّ من المواجهة بدأ بمراسلة أمراء الشام فأخذ هؤلاء الأمراء على عاتقهم مسندة الناصر لكي يتمكن للعودة لعرش سلطنتهِ، فضلاً عن ذلك فقد خرجَ غالبية الأمراء

(1) المقريزي، السلوك، 869/ 1.
(2) المختصر، 34/ 4.
(3) تاريخ الإسلام، 49/ 52.
(4) البداية والنهاية، 348/ 13.
(5) سلار: هو سيف الدين سلار التتري الصالحي المنصوري، كان من مماليك علاء الدين بن المنصور قلاوون، ومن ثم صار من خاصة المنصور، وحضي بمكانة لدى الأشرف خليل، وكان ممن ندب لإحضار الناصر قلاوون من الكرك فأحضره، ثم استابه الناصر وقدمه على الجميع وتوفي سنة(710هـ). الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد (ت:764هـ)، فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، ب ط ، دار صادرن بيروت، 1973م، 86/ 2.
(6) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 180/ 8.
(7) إبن ابي الفضائل، المنهج السديد، ص 669،667.
(8) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 171-170/ 8.
(9) حسن، تاريخ المماليك، ص82.
(10) ابن تغلاي بردي، النجوم الزاهرة، 234/ 8.
(11) حسن، المماليك، ص 87-86.
(12) ابن إياس، بدائع الزهور، 1م15.

والمماليك السلطانية من القاهرة وتوجهوا الى الملك الناصر بالكرك مصممين على ضرورة عودته الى عرش السلطنة[1].

فتحركَ الناصر ومن معهُ من الأمراء من الكرك سنة(709هـ/ 1309م)، وتوجهوا الى قلعة الجبل، فصعدَ الناصر إليها وإستقر على عرشه في العام نفسه وبذلك بدأت سلطنة الناصر الثالثة وتمّ إلقاء القبض على بيبرس وسلار وأمر الناصر بإعدامهما جزاء لما فعلوه[2].

وقد ذكر ابو الفدا[3] عن رحيل السلطان الناصر محمد الى الكرك وتخليه عن عرش السلطنة بقوله: (ولما إستقرَ مولانا السلطان بقلعة الكرك أمر جمال الدين آقوش، نائب السلطنة بها، والأمراء الذين حضروا في خدمتهِ، بالمسير الى الديار المصرية، وأعلمهم انه جعل السفر الى الحجاز وسيلة إلى المقام بالكرك، وكان سبب ذلك إستيلاء سلار وبيبرس الجاشنكير على المملكة، واستبدادهما بالأمور، وتجاوز الحد بالانفراد بالأموال، والأمر والنهي، ولم يتركا لمولانا السلطان غير الاسم، مع ما كان منهما من محاصرة مولانا السلطان في القلعة، وغير ذلك مما لا تنكمش النفس منه، فأنف مولانا السلطان خلّد اللهُ مُلكه من ذلك وترك الديار المصرية وأقام بالكرك).

كذلك ذكر سلطنة بيبرس بالقول: (وركب بيبرس الجاشنكير من داره بشعار السلطنة الى الإيوان الكبير بقلعة الجبل، وجلس على سرير الملك في يوم السبت الثالث والعشرين من شوال....وتلقب بالملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصور..)[4].

أما اليافعي[5] فقد أشار الى ذلك التمرد بالقول: (فسار السلطان الى الكرك ليحج فدخلها، وبعثَ نائبها جمال الدين الى مصر، وزهدَ في مُلكهِ لحجر عليه فيها، ولوّح بعول نفسهِ بيبرس الجاشنكير، وتسلطن ولُقب بالمظفر، وأقرّ على نيابته الملك سلار، وحلف لهُ أمر النواحي، وجاء كتاب الناصر من الكرك، أنه لم يولِّ أحداً، وقد اختار الإنقطاع والعزلة بالكرك، وإنّ له عليهم بيعة الطاعة، وقد أمرهم بالطاعة لمن يتولى، وبشرط الاتفاق وما فيهِ تصريح بعزل نفسه).

كذلك ذكرهُ ابن كثير[6] قائلًا: (لما إستقر الملك الناصر بالكرك وعزمَ على الإقامة بها كتب كتاباً الى الديار المصرية يتضمن عزل نفسه عن المملكة، فأثبتَ ذلك على القضاة بمصر، ثم نفذَ على قضاة الشام وبويع الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير في السلطنة، في الثالث والعشرين من شوال يوم السبت بعد العصر، بدار الأمير سيف الدين سلار، إجتمعَ بها أعيان الدولة من الأمراء وغيرهم وبايعوهُ بالملك المظفر).

وقد ذهب العصامي[7] الى ذكره بالقول: (فتنكّر عليه صاحب سلار واستاذ داره بيبرس الجاشنكير ودامَ ذلك التكدر بينهم الى أن أظهر في رمضان سنة ثمان وسبعمائة التوجه الى الحجاز وخرج من القاهرة وتوجه الى الكرك، متبرماً منهما وأعرض عن مُلك مصر.....، فاتفق الأمراء على سلطنة بيبرس الجاشنكير وسلطنوه تسلطن ولقبوه بالملك المظفر....).

(1) ابن إياس، بدائع الزهور، 152/ 1.
(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 274/ 8.
(3) المختصر، 55/ 4.
(4) ابو الفدا، المختصر، 55/ 4
(5) مرآة الجنان، 183/ 4.
(6) البداية والنهاية، 48/ 14.
(7) سمط النجوم العوالي، 28/ 4.

الخاتمة

تمخض البحث عن عدة نتائج أوجزها فيما يلي:

1- ان التمردات التي خرجت على المماليك في الزمان او المكان فهي ذات دافع واحد هو الوصول الى السلطنة.

2- جميع من قاموا بتلك التمردات كانوا من الامراء او من حاشية السلاطين.

3- خطورة تلك التمردات بسبب اوضاع البلاد الغير مستقرة وتطلع المغول والصليبيين للاستيلاء عليها.

4- على الرغم من خطورة تلك التمردات الا انها لم تصل الى غايتها لان السلاطين المماليك استطاعوا القضاء عليها.

المصادر والمراجع

المصادر المطبوعة:

- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت:930هـ).

1-بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح، محمد مصطفى، ط1، دار احياء الكتاب العربية، القاهرة .

-ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف بن عبد الله (ت:874هـ).

2-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ب ط، دار الكتب، مصر، ب ت.

-ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت: 852هـ).

3-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح، محمد عبد المعين خان، ط2، مجلس دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1972م.

-الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت الرومي،(ت: 626هـ).

4-معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م.

-سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزاغولي (ت:654هـ).

5-مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح وتعليق، ابراهيم الزيبق، ط1، دار الرسالة العلمية، دمشق، 2013م.

-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان (ت:911هـ).

6-حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تح، خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

-ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم الحلبي (ت: 684هـ).

7-الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح، يحيى عبارة، ب ط، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1998م.

-الصفدي، الحسن بن أبي محمد عبد الله الهاشمي العباسي (ت:717هـ).

8-نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك، تح، عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2003م.

-العيني، محمود بن أحمد الغيثابي (ت:855هـ).

9-عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح، محمد محمد أمين، ب ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م.

-ابو الفدا، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي (ت: 732هـ).

10-المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ب ت.

-المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين أبو العباس الحسيني العبيدي (ت: 845هـ).
11-السلوك لمعرفة دول الملوك، تح، محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
-ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن أبي الفوارس (ت: 749هـ).
12-تاريخ ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1996م.
-اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت:768هـ).
13-مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تح، خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

المراجع الحديثة:

-حسن، علي ابراهيم.
14-تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ب ت.
-دهمان، محمد أحمد.
15-معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1990م.
-العبادي، أحمد مختار.
16-في التاريخ الأيوبي والمملوكي، ب ط، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ب ت.